

التبيان في تفسير القرآن

(248) " وتمت كلمات ربك " انها بتمامها موافقة لما توجه المصلحة من غير زيادة ولا نقصان. والتمام والكمال والاستيفاء نظائر. وان جميعه صدق ولاكذب فيه كما يقال: كمل فلان اذا تمت محاسنه. وفي الاية دلالة على ان كلام الله محدث، لانه وصفه بالتمام والعدل وذلك لا يكون الاحادثا. والتبديل وضع شئ مكان شئ، فلا أحد يقدر ان يضع مكان كلمة الله يناقضها به. وقال قتادة: لا مبدل لها فيما حكم به لانه وان أمكن التغيير والتبديل في اللفظ كما بدل أهل الكتاب التوراة والانجيل، فانه لا يعتد بذلك، لانه لا يقلبه بحق ينقصه. ويجوز أن يكون المراد بقوله " وتمت كلمات ربك " أنها أتك شيئا بعد شئ حتى كملت. وقوله " وهو السميع العليم " معناه أنه على صفة يجب ان يسمع المسموعات اذا وجدت عالم بما يكون ظاهرا وباطنا، فلا يظن طان أن شيئا من ذلك يخفي عليه تعالى. قوله تعالى: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (116) آية بلاخلاق. هذا خطاب من الله لنبيه ولجميع المؤمنين انه من يطع أكثر من في الأرض من الكفار ويتبع ما يريدونه يضلوه عن سبيل الله، لانه كان في ذلك الوقت أكثر أهل الأرض كفارا. والطاعة هي امتثال الامر واجابة ما أريد منه اذا كان المريد فوقه، والفرق بينه وبين الاجابة أن الاجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة، ولا تكون اجابة الا بأن يفعل لموافقة الدعاء بالامر، ومن أجله لا يراعي فيها الرتبة.